شمائل الرسول

وشخصيته الانسانية

« نعم : فى شمائل رسول الله يجد »
« العلماء والزعماء والشباب المثل »
« العملى لشخصية (السوبرمان) وليس »
« فى معامل الغرب يمكن أن يوجد »
« النموذج . »

أنور الجندى

مطبعة التوكل بالجاميز ـ مصر

الرسول

تاريخ وحياة

حياة رسول الله ﷺ وتاريخه «كل» لايتجزأ، فإذا حاولنا أن نفصل القول، فى هذه الحياة الضخمة، بالحديث عن أجزائها منفصلة، فإنما نجعل من ذلك وسيلة إلى تفهم المرامى الكريمة والاهداف العالية التى تملأ هذه الحياة وذلك التاريخ.

وقد رأيت أن أعرض لدراسة شخصية رسول الله وتاريخه على الوجه التالى:

(١) تاريخ الرسول (عرض عام) - ابريل
(٢) شمائل الرسول وشخصيته الانسانية - مايو
(٣) القيادة فى حياة الرسول - يونيه
(٤) الجندية والاتباع - يوليه
(٥) المنافقين والخصوم - أغسطس
(٦) غزوات الرسول - سبتمبر
(٧) مدرسة الارقم والكتيبة الأولى - اكتوبر
(٨) مهمة الرسول وتبعات الدعوة - نوفمبر
(٩) هدى النبوة «حديث الرسول وبيانه» - ديسمبر

وهذا هو البحث الثانى بين يدى القراء الثمن ٣٠ مليم

بسم الله الرحمن الرحيم

سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . محببه كل نفس ، فهى غذاء شهى للارواح المؤمنة ، لانها سلسبيل للنفوس الطاهرة . وحديث المصطفى الحبيب ، يملأ جوانح النفوس بالاكبار والاعزاز ، وذكره يهز أعماق القلوب بالاشواق الربانية ، وتاريخه يفتح أمام الأرواح بشائر الخير والهدى والنور .

وهو « صلوات الله عليه » حبيب إلى النفوس جميعا ، حبيب إلى قلوب المسلمين حبا تغلب فيه العاطفة على العقل ، نفوس العرب باعتباره سيد العرب وفخر تاريخهم ، وتاج مجدهم ، وهو حبيب كذلك إلى نفوس الكثير من الفرنجه المعجبين بآثاره وخلاله وسجاياه وشمائله . وبطولاته وأعماله .

وقد بلغ المسلمون فى مختلف عصورهم فى الحديث عنه إلى ذروة القول . قالوا فيه الشعر حتى ذخر تراث الادب العربى بالآلاف المؤلفة من أبيات القصيد الجياد ، وقصوا فيه القصص حتى انهم لم يتركوا فضيلة من فضائله الانسانية لم يتناولوها بالشرح

والافاضه ، بل انهم تجاوزوا العقل فى كثير من الاحيان إلى الخيال والمبالغة باللفظ والعبارة ،والقصة والرواية ، فى غير ماحاجة إلى تزيد أو ابتكار أو أضافة خيال ، إلى ذلك التاريخ السامق الذرى ، الرفيع الامجاد ، الذى لايدانيه تاريخ إنسان من قبل أو من بعد .

وتنافس كتاب العربية وبلغاء العصور ، وفصحاء الاقطار على كتابه تاريخه ﷺ باعتباره اسمى ماتخطه الاقلام ، وأرفع مايتقرب به إلى الله .

وأنشد المنشدون فى مولده المدائح الطوال العراض ، مما هو ثابت فى سنته ، صحيح فى تاريخه ، فضلا عما (وضع)من قبيل التمجيد لخاتم النبيين وأمام المرسلين .

واضيفت إلى سـيرته ﷺ الكثير من الاسرائليات والخيالات والاوهام مما لاينقص من قدره اغفالها وشط بعض المؤرخين عن غير قصد وحسن نيه إلى المبالغة فى قدر الصلة بين الرسول والسماء ، حتى كادوا أن يقضوا على شخصيته ﷺ الانسانية ، فنسبوا كل تصرف منه إلى الوحى

وبذلك اغفلوا جانبه الانسانى الضخم ، وفى ذلك مافيه من تجاهل للطبيعة الانسانية الكريمه،المكلفة العاقلة المتصرفه فى رسول الله الحبيب .

* * *

وهكذا لقيت سيرة الرسول ولقى تاريخه الكثير من العوامل التى بلغت بها حد المبالغة والتهويل ، أو الخلط والتقصير ، تحت ضغط الظروف والاحوال .

ولاشك ان ذلك كله لم يكن مقصودا به إلا الخير فى تقدير هؤلاء الكتاب ، ولم يكن القصد من هذه الاستزاده إلا إتباع عاطفة الحب ورفعها فوق حكمة العقل .

واننا والله لنحب رسول الله ﷺ أكثر مما نحب أهلونا وانفسنا ، وانا لنطالع سيرته فتملء نفوسنا بالأشواق العالية والتوجيهات الرفيعة والمثل الفاضلة ، وكم كنا نحب أن نستطرد فى تصوير تلك الاشواق ، أو ابراز هذه العاطفة ، لولا اننا نريد أن نحولها بالتسامى إلى منافع عملية نلتمسها من سيرته ونطبقها فى محيط دعوتنا ، التى هى امتداد لدعوة رسول الله .

نريد ان نكتب سيرة رسول الله على وجه اخر ، فيه عاطفة وفيه عقل وفيه حب وفيه توجيه ، نلتمس منه العبرة والعظة ، ونبحث فى اطوائه العميقة الواسعة عن المثال والمنهاج والهدى فنبرزه لانفسنا ولاخواننا ، لنجعل منه سلاحنا فى الخطوب ، وعدتنا فى هذه المفاوز وذخيرتنا فى ميدان الجهاد القريب .

وان يجد المسلمون عدة ولا سلاحا ولا ذخيرة قبل ان يتأملوا ويطيلوا التأمل فى سيرة رسول الله ، وقبل أن يدرسوا ويطيلوا النظر فى تاريخ خاتم الانبياء .

شمائل الرسول

كأنه وهو فرد في جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم

تكاملت الشخصية الانسانية في شمائل رسول الله أوفى ما تتكامل في إنسان. وبرزت فيه (الرجولة) التي تقسم بالزهد والتواضع وبالشجاعة والوفاء. وعرف بالربانية المؤمنة، فكان (عابدا) يقف بين يدى مولاه حتى تتورم قدماه وكان (اجتماعيا) شارك الناس في جدهم ومسرائهم وضرائهم وأحبهم وسهر عليهم أخوة وأتباعا، وأزواجا وأبناء، في ايثار ووفاء

وعرف (بالزعامة) فكان مصلحا جمع إلى ضبط النفس قوة التأثير وكان فعالا أكثر منه قوالا، لم يستغفل في مكيدة ولم ينم عن مهمته لحظة من ليل أو نهار. واتسم (بالسياسة) فكان مثالا للكياسة والدهاء دون تكبر أو طغيان. فعقد المعاهدات وبعث البعوث وكان (قائدا) عرف بالبطولة الحربية والشجاعة فقاتل بيده، وكان إذا اشتد الباس اقرب الناس إلى العدو

ووصل فى ذلك إلى ذروة البلاغة فى القول فكان (محدثا) بارعا فصيح اللسان واضح البيـــان ، يقول أوضح القول فى أوجز عبارة :

وبهذه الشمائل جميعا كان المثل الكامل للشخصية الانسانية الفردية وكان المثل الأعلى للزعامة والقيادة وفى سيرته وشمائله يجد الزعماء ويجد الرحال والأدباء والمحاربون والساسة والمحدثون والاجتماعيون خلاصة الدراسات التجريبية للانسان الكامل (السوبرمان) .

الرجولة

الحديث عن (الرجولة) هو خير ما يقدم فى هذه الأيام التى تمتحن فيها الرجولة فى الشرق الاسلامى ، وهى مزية من مزايا الطابع الانسانى عمل الاسلام على تأكيدها فبرزت بأوفى صورها وأجلاها فى رسول الله فكانت حصنا منيعا من حصون الاسلام .

نتكلم عن (الرجولة) فى رسول الله ﷺ ونعنى بها ذلك الطابع الانسانى الذى يبرز فى تصرفاته الطبعية فيما يتصل به من

أمور معاشه وبيته وطعامه وسيره ونومه ، وفى حالة الرضى والغضب ، وتقدير من حوله كذلك وهى تصرفات تنتظمها الرحمة والشجاعة والزهد والتواضع والوفاء والبساطة .

ولا أعنى بالرجولة إلا تلك الصلة السهلة السمحة المطمئنة بين رسول الله ، وبين من يتصل به من معارف وخدم وأبناء وأزواج .

وليست الرجولة هنا هى الجفاف والكبرياء والاستعلاء على من يتصلون بسبب إلى الانسان أو الزعيم ، وليست هى الجبن والاستخذاء والضعف ، وليست هى التهاون فى أمر من الأمور جليلها أو كبيرها ، وإنما هى ذلك الميزان الصادق الذى لا ترجح احدى كفتيه الا بمقدار : تلك هى (الرجولة المؤمنة) التى تنشدها الشخصية الانسانية لتصل بها إلى المثل الأعلى ، ولن تجدها الا فى رسول الله ﷺ

(١) اتسم الرسول بالزهد فى الدنيا ، واكتفاءه بالقليل ولكنه ليس زهد الضعفاء أو زهد العجز والقصور ، وإنما زهد المالك فيما يملك ابتغاء مرضاة الله وقد أثر عنه قوله : مالى

وللدنيا ، إنما أنا والدنيا كراكب استظل بظل شجرة ثم مضى وتركها . وفى هذه العبارة البليغة الموجزة تصوير بارع لمقام هذه الحياة الدنيا بين عالم الفناء قبلها وعالم الخلود بعد الموت .

ولقد أثر عنه ﷺ أنه خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، وكان يرضى بالكفاف فى المأكل والغليظ فى الملبس وينام على وسادة آدم حشوها ليف ، بحسبه بضع لقيمات يقمن أوده ، وأحيانا كان يبيت طاويا ، وكثيرا ما قضى وأهله الأيام ليس لهم طعام إلا الخبز والماء .

قالت عائشة لعروة : يا ابن أختى اننا كنا ننظر الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة فى شهرين ما أوقدت فى بيت رسول الله نار فقال يا خالة ما كان عيشكم قالت الأسودان التمر والماء .

وقد روى أن رسول الله ﷺ ما أكل أكلتين فى يوم واحد إلا كانت احداهما تمرا ، وما شبع من خبز الشعير يومين متتاليين وكان مع كل ذلك يعظم النعمة وأن دقت ولا يذم شيئا .

ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد هذه هى الزعامة الفقيرة والقيادة التى لا تقيم سلطانها

وصولجانها على دعامات واهيـة من المظاهر البراقة ولا تقيم مآدبها وولائمها على ألوان الأطعمة المختلفة

وحياة الرسول لم تـكن فى الواقع حياة فردية ، وإنما هى حياة توجيهية تقضى بالأمر على وجه من وجوهه ، لأنها تريد أن تـكون وضعا من أوضاع الـكيان الانسانى الشخصى فى الجماعة الاسلامية .

ولذلك عرف فى عباراته ﷺ روح التوجيـه والتنفيذ ؛ ولم يكن هذا الفقر أو هذا (القصد) فى أمر المطعم والملبس وفراش النوم إلا رغبة فى اقرار طبيعة خشنة صامدة ، لا يزعجها نقص أمور المطعم والمشرب والملبس فى ظرف من الظروف ، وكان إلى هذا القصد ممتـازا بالجود وسخاء مما لم يعرف مثله فى زعيم أو قائد أو مصلح اجتماعى أضف الى ذلك روح المحاسبة والتقدير التى تبرز عند استقبال مطعم شهى

دخـــل رسول الله ﷺ المسجد فوجد أبا بـكر وعمر فقال ما أخرجكما قالا : الجوع ، فقال رسول الله وأنا أخرجنى الجوع ، فذهبوا إلى أبى الهيثم التيهان الانصارى فقام فذبح لهم

شاة واستعذب لهم ماء، ثم أتى بذلك الطعام والماء فأكلوا منه وشربوا

فقال رسول الله : لتسئلن عن نعيم هذا اليوم

هذا أمر رسول الله وصحبه ، وما كان ذلك ليمنع من أن يرد سبايا هوازن وكانوا ستة آلاف

ومن هذا ترى : الفقر والمسغبة ، فإذا جاء الطعام ذكر رسول الله حساب الله عن هذا النعيم ، ثم ذلك السخاء الذى يبرز فى رد ستة آلاف من السبايا ،والواقع أنه لا تعارض بين هذا وذاك فالطعام والشراب أمران يتعلقان بالمرء ولا يحب رسول الله أن يكونا هدفين يقصدان لذاتهما ، وإنما هما وسيلتان لاستمرار الحياة فى سبيل الغاية العليا ، أما رد السبايا فهو اقرار لوضع من أوضاع الدعوة وتأليف لقوم من الأقوام الذين جاءوا مسلمين .

وكان طعامه ﷺ ليلة عرسه من أم سلمة لا يزيد عن شيء من الشعير أخذته أم سلمة فطحنته ثم عقدته فى البرمة وأخذت الكعبة فأدمته

وعن أنس رضى الله عنه ، أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ

طبق من رطب فجثا على ركبتيه فأخذ يناولني قبضة قبضة يرسل بها الى نسائه ، وأخذ قبضة منها فأكلها ، وأخذ يلقي النوى بشماله فمرت به داجنة فناولها فأكلت

ويقول رسول الله ﷺ : أخفت في الله وما يخاف أحد ، وأوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت على ثلاثون ما بين يوم وليلة مالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه أبط بلال .

هذا رسول الله أيها الناس وهذا أمره من الطعام والشراب ، وهو عبرة للأغنياء المبطونين ، يرون فيه كيف كان الرسول لا يرى فيه رأيهم فهم يعيشون ليأكلون ، وهو يأكل ليعيش

يأكل لقيمات هي شيء قليل ضئيل يواريه ابط بلال ، وهي شعير أو تمر في أغلب الأحيان . .

ومن حديث الطعام عند رسول الله عبرة أخرى للفقراء الذين يزعجهم أمر قصور طعامهم وشرابهم في بعض الأحيان ، فهذا رسول الله يبيت على الطوى ويربط بطنه من الجوع ويصبح الصباح فيسأل أهله : أعندكم شيء ، فإن قالوا لا : صام يومه . ولقد

جاءه الضيف فارسل يسأل فى بيوت زوجاته التسع فلم يجد عند إحداها شيئا فوكل أمره الى أحد أصحابه ، ولقد ضاقت زوجاته بهذا الوضع وطلبن النفقة فأرسل الحق تبارك وتعالى من السماء يفاصلهن المقام مع رسول الله (ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتكن وأسرحكن سراحا جميلا) والمتاع هنا هو متاع الطلاق

وتلك أولى دعائم الرجولة ، أن لا يكون الطعام والشراب له من الخطر ما يوجه الانسان فى الحياة ، ولا يكون الطمع فيه سبيلا إلى نكران حقوق الله أو الخروج على مبادىء الحق ، أو القصور عن نضال خصوم الدعوة ولقد شهد عصرنا هذا صنوفا من الناس قتلهم المآكل والمشرب والملبس ، واستطاع الغاصب ان يستقيدهم من اعناقهم بسلاسل من الذهب باسم الطعام الدسم والمآدب الحافلة فانصرفوا عن حقهم وخاصموا أوطانهم وتنكروا لحقوق أمتهم ، وهجروا دينهم وعاشوا معلقين فى ركاب أصحاب النضار ، وتلك جناية البطون ، وتلك قضية المعدة

٢ ـ اتسم رسول الله باليسر والبساطه فى لقاء الأمور وفى

توجيهها إذا خير بين أمرين اختار ايسرهما مالم يكن اثما، يمزح ويتفكه ولا يقول إلا حقا .

وقد برزت هذه البساطة فى كل شيء ، فقد كان الرسول يذهب إلى السوق ويحمل بضاعته، وكان إذا تصدق وضع الصدقة فى يد السائل ، وكان يركب ويردف خلفه .

وجاءه الرجل وهو يمشي ومعه دابته فقال له أركب وتأخر عن حماره فقال الرسول له : أنت احق بصدر دابتك منى إلا أن تجعله لى فلما قال له الرجل انى جعلته لك ركب .

وليست هذه البساطة واليسر إلا مظهراً صادقا من مظاهر التواضع هو من ابرز صفاته ﷺ ، ولقد كان هذا المظهر عجيبا فى شخصه وهو صاحب الدعوة التى بهرت اتباعه بهذه السجايا التى لم تعرفها الدنيا إلا فى الزعامة الاسلامية المحمدية .

عرف الرسول بتلطفه مع الاطفال والصغار ، وعرف بالصبر على الجفوة للغريب فى منطقة ومسألته ، ولم يكن - تبعا لذلك - يواجه أحداً بما يكره ويجيب دعوة الداعى ، ويعود المريض ، ويقبل العذر ، ويتجاوز عن المسيء وله فى كل حالة من

هذه الحالات احداث تروى وليس له فيها كلام يقال ، فقد كانت حياته ﷺ حياة (تجريبية) وكانت اهدافه اهدافا توجيهية، وكان أسلوبه تنفيذا محضا

يعطي من منعه ،ويصل من قطعه ، ويبذل لمن حرمه ،ويغضى طرفه من الأذى وكان أجود من الريح المرسله .

قال له أحد الوافدين أنت سندنا : قال السيد الله : قولوا قولكم ولا تستجرينكم الشيطان

إذا اقبل جلس حيث ينتهى به المجلس ، وكان يمد طرف ردائه لحليمة لتجلس عليه ويلقى وسادته لضيفه ويجلس هو على الأرض ، وكانت له حصير يحتجزه فى الليل فيصلى فيه ويبسطه بالنهار فيجلس عليه .

ذلك هو رسول الله ، الذى لم تعرف عنه مهانة ولا جفاء بل الدماثة واليسر ، جبل على الخلق الكريم بالهبة الالهية وليس بالرياضة النفسية، يحلب شاته ويخصف نعله ، ويحب التيمن فى كل شىء ، فى طهوره وفى ترجله وفى تنقله.

دخل عليه الرجل يرجف فقال له : خفض عليك ، انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكه .

كان بيته حجرات واطئة ضيقة من اللبن بينها حواجز من جريد النخل .

هذه صورة من تواضع رسول الله وبساطته ويسره ، اتسم بها الرسول فعرف بها ، وبهذا الخلق جمع الداعى حوله الاتباع وانفذ اصلاح فى ذلك المجتمع الضعيف الواهى فرفع قوائمه ، وامده بالمثل العليا للتواضع والشجاعة والرحمه .

ولقد غفل القادة والزعماء عن هذا الجانب فى حياتهم وظنوا ان البساطه واليسر والاختلاط بالناس ينقص من اقدارهم فتحصنوا فى ابراجهم العاجية ، وأنفوا أن يضطربوا مع الناس فى مجتمعهم أو يأخذوا معهم فى أمورهم ، أو يشاركوهم فكان نصيبهم النكران والجحود .

عرف رسول الله بالتفكه فلم يكن جهما وقد ظن بعض الناس ان الجهامة من الزعامة .

يحمل بضاعته وقد ظن بعض الناس أن حمل البضاعة عورة .

عرف بتلطفه مع الاطفال وكان يدمع لموتهم ويقول انما هي رحمة يضعها الله فى قلب من يشاء من عباده

يكره التميز والترفع عن أصحابه واتباعه فلم يكن يعرفه الغريب الوافد إلى المسجد حتى يسأل عنه .

٣ - عرف قدرة كل من عرفه ، عندما دخل المسجد والقبائل مختلفة قالوا هذا الأمين ، وعند ماوقف على الصفا فقال لو أخبرتم أن خيلا بسفح هذا الوادى تجرى أكنتم مصدقى قالوا ماجربنا عليك كذبا .

وقالت له السيدة خديجة عندما فجأه الحق فى غار حراء فقفل ترجف بوادره : والله لايخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضعيف، وتعين على نوائب الحق .

٤ - لم يغضب رسول الله إلا للحق ، وماغضب لنفسه مره ولا انتصر لها

وعندما غضب على السيدة عائشة بعد أن استأمنها على العبد

فهرب منها وقال لها . قطع الله يدك . عاد فرفع يده إلى السماء ودعا ربه . اللهم أنى بشر أغضب واسف ، كما يغضب البشر ، فايما مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه بدعوة فأجعلها له رحمه .

لم يعرف عنه قط الغضب عليه السلام فى أمر من أمور نفسه ، ولم ير غاضبا إلا فى قليل من الأمر ، غضب يوم مقتل حمزة ، وغضب يوم عاد من حنين وأخذ الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت ردائه فوقف وقال : أعطونى ردائى فلو كان لى عدد هذه الغضاة نعم ، لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا

وهو فى غضبه يمتلك تعبيره فلا يتفلت منه الكلام: غضب يوم حبس عثمان ووقف تحت شجرة الرضوان وقال : بايعونى على أن نناجز القوم !

وإذا كان قد غضب فى حادثين أو ثلاثا مما يتصل بأمر الدعوة فإنه لم يغضب فى عشرات الحوادث التى تتصل بشخصه الكريم ولم يغضب على الرجل الذى قال له . يا محمد اقض حق

فانتم معاشر بنى عبد المطلب مطل

ولم يغضب حين جبـــذه الاعرابى من برده نجرانى الغليظ الحاشية حتى أثر فى عنقه الشريف .

ولم يغضب من الرجل الذى قال له بعد عطيه أعطاها إياها: هل أحسنت اليك فقال ولا أجملت !

وكان يتوضأ ليزول غضبه ، ويجلس إذا كان قائما و يقوم إذا كان قاعدا ويوصى بذلك

(٥) وعرف إلى ذلك كله بالرحمة التى لا تقتصر على بنى الانسان فحسب ، بل التى تشمل كل حى

مر الرسول وهو فى طريقه إلى فتح مكة على كلبة تهر على أولادها ، وهن من حولها يسترضعنها فأمر جعيل بن سراقه أن يقوم حذائها حتى يمر الجيش لا يعرض لها أحد

وبكى يوم مات ابراهيم وقال يا ابراهيم انا لن نغنى عنك من الله شيئا ، وأنا بك يا ابراهيم لمحزونون ، تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول مايسخط الرب

وهكذا تضطرد فى تصرفاته ﷺ اليومية الصغيرة والكبيرة

روح التوجيه ومعاني التطبيق فتكون تجريبية لا خطابية

وكان مشرق الروح ، موصول القلب بربه في كل أمره وحاله يقول ابن شهاب : ان النبي ﷺ كان يأتي له بالباكورة (من الفاكهة أو غيرها) فيقبلها ويضعها على عينيه ويقول (اللهم كما اريتنا أوله فأرنا آخره)

وكان لا يزعجه الأمر الجلل من ثقته بربه : رمى الكفار التراب على رأسه الشريف فدخل إلى بيته وأخذت فاطمة تغسله عنه وهي تبكي وهو يقول : لا تبكي يابنية إن الله مانع أباك

وكان يعرف من أمره خطأه وصوابه فلا يرى مندفعا في دون أن يراجع نفسه المرة بعد المرة ، قال في حجة الوداع لو استقبلت من أمري ما استدبرت ماسقت الهدى وقال في عمرة القضاء : فعلت اليوم أمرا ليتني لم أك فعلته ، دخلت البيت فعسى الرجل من أمتي لا يقدر أن يدخله فيكون في نفسه حزازة وإنما أمرنا بالطواف ولم نؤمر بالدخول .

وكان إلى ذلك كله : نظيفا جميل الملبس ، لا يرى إلا في أكمل ملبس ومظهر .

فلما سأل في ذلك قال : إن الله يحب من أحدكم إذا خرج لإخوانه أن يتجمل لهم

ويقول أحد أصحاب الرسول اننا كنا نعرف خروج النبي بروح الطيب .

ويقول إنس بن مالك : صحبت رسول الله ﷺ عشر سنين وشممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من نكهة رسول الله ، مارأيت شيئاً أحسن من النبي ، وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من النبي، كأن الأرض تطوى له وانا لنجهد وهو غير مكترث .

ولم يبلغ انسان ولا زعيم نهاية الوفاء كما بلغه رسول الله حين نادى فى الناس قبل أن يقبض : أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليقتد منى ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن أخذت منه مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ولا يخشى الشحناء فهى ليست من شأنى .

ولقد جاهد رسول الله ﷺ فى سبيل رزقه قبل الدعوة بالتجارة ثم عاش فى مال زوجته خديجه بعد البعثة ينفقه فى الدعوة ثم يسر الله له الأمر من بعد فاثر عنه قوله «وجعل رزقى تحت ظل رمحى»

هذه هى مظاهر الرجولة فى رسول الله لم تكن يوما من الأيام كلاما بل كانت (تنفيذية عملية) وبها صنع المجتمع الجديد لجعله مثالا فى الكمال والبساطة واليسر

العـابد

« قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين »

لم تجتمع فى (مصلح) ولا (نبى) ولا (قائد) هذه الصفات التى تجمعت فى رسول الله محمد ﷺ ، فقد كان نموذجا صادقا كاملا للرسالة التى أرسله بها الحق تبارك وتعالى ، فكان عابداً يقوم الليـل حتى تتورم قدماه ، ويصوم من الشهر حتى يكاد لا يفطر فيه ، ومع ذلك فهو يتزوج ويجعل لأهله وقتا ولدعوته وقتا ويقول ان لبدنك عليك حقا ولربك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ، هى حقوق منفصلة لامشتبكة لا يغفـل فى توزيعها ولا يجور أحدهما على الآخر ، كذلك كان ﷺ العابد الزاهد والسياسى الحصيف ، والقائد الشجاع، والاجتماعى اللبق ، والرجل الكامل، والمحدث اللسن ، والزعيم النابه .

هذا الجماع لنواحى البطولة والتبريز ، وهـذا الشمول لكل هذه المظاهر انما هو شمول الرسالة التى ختمت الرسالات والتى

جاء بها محمد ليكون خاتم المرسلين وامام المصلحين والقادة وقدوة الزعماء والدعاة الى الله بالحق .

وقد برز الرسول فى هذه الجوانب جميعا حتى لا تكون هناك حجة لمدع يوما من الأيام بأن الاسلام دين عبادة ولاهوت أو دين صومعة ورهبانية وان كانت العبادة واللاهوت جزء من هذا الكل الجماعى الشامل الذى ينتظم ذلك النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الذى يضم الى عبادة الله والتذلل اليه والعبودية له تلك العزة والرجولة وامتشاق الحسام أمام الخصوم والاعداء وفى سبيل رعاية الدعوة وحماية الشعور .

وقد وصل رسول الله فى جانب (العبادة) إلى أرقى درجات العباد المؤمنين ، وبلغ ذروة العبقرية فى السياسة والحرب والبلاغة كذلك .

كان رسول الله مثلا عاليا للايمان والعبودية والتجرد ، وقد امتلكت الدعوة عليه حواسه وقلبه فصبر على الجاهل والمتعنت ولقى الناس بالاقناع والحجة حتى لتنام عيناه ولا ينام قلبه ، واذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذى يستيقظ .

ومن حشيته لربه وشدة خوفه من عظمته نسب كل شيء اليه ووصل نفسه به فى كل أمره ، وكل حركاته، يذكره عند مايستيقظ وعند ماينام وعند مايمشي وعند مايخرج من منزله وعند مايدخل المسجد وعند مايعود وعند مايسافر وعند ما يرجع وعند مايلبس

قام الليل حتى تفطرت قدماه وقد سأل لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا أكون عبدا شكوراً فإذا صلى بالناس خفف صلاته حتى يكون أخف الناس صلاة ، فاذا صلى بنفسه أطال صلاته

ويقول عبد الله بن مسعود « صليت مع النبي ليلة فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء ، قيل وما هممت ، قال هممت ان أجلس وادعه .

ويقول عبدالله حذيفة بن اليمان « صليت مع النبي ذات ليلة فافتتح بالبقرة فقلت يركع بعد المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح ال عمران فقرأها ، يقرأ مرسلا فاذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربى

العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه . ثم قال سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ، ثم سجد فقال سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريبا من قيامه » رواه مسلم »

يصلي رسول الله لربه ويقوم الليل إلا قليلا وإذا حزبه أمر أكثر من الصلاة ، وإذا جاءه من له مصلحة قصر من صلاته .

(٢) يعرف قدر ربه ويخشاه فيقول شيبتني هود واخواتها ويذكر كل انسان بموقفه عند ربه ولو كان له قريبا فيقول يافاطمة بنت محمد سليني ماشئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئا ، ثيق بالله في مواطن الشدة والبأس ، فلا تغره المظاهر ، يقول له أبو بكر وهما في الغار : لو نظروا تحت أقدامهم يارسول الله لرأونا فيقول : يا أبا بكر . ماظنك باثنين الله ثالثهما : لا تحزن ان الله معنا .

يشكر ربه في مواطن النصر ، فيدخل مكة ساجداً على بعيره وهو يردد : لا إله إلا الله ، نصر عبده ، وعز جنده وخذل الأحزاب وحده .

يعود من غزوه أو سفره إلى المسجد فيصلى لله ركعتين قبل أن يدخل منزله .

يذكر ربه فى كل حال ، فإذا عاد من السفر كبر على كل شرف وقال : تائبون آيبون ، ان شاء الله حامدون ، لربنا عابدون ، اعوذ بالله من وعثاء السفر وكابه المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال .

وإذا خرج إلى السفر قال : اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل وإذا بنى مسجده ارتجز :

اللهم ان العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة

واذا حفر الخندق ارتجز

اللهم لو لا أنت ما أهديتنا ولا تصـــدقنا ولا صليتـا
فانزلن سكينة علينــــا وثبت الأقدام ان لاقينـا

وإذا رأى المطر قال : اللهم صيبا نافعا ، وإذا خاف ضرره قال : اللهم حوالينـا ولا علينـا ، اللهم على الآكام والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر

وإذا سمع الرعد والصواعق قال : اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك . وإذا رأى الهلال قال : الله أكبر اللهم أهله علينا

باليمن والإيمان والسلامة والسلام . ربى وربك الله ، هلال خير ورشد .

ويقول المسافر : استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك

وإذا سرى بالليل مسافرا : قال اللهم أطو له الأرض وهون عليه السفر

قال جابر بن عبد الله أن الرسول كان يعلمنا الاستخاره فى الأمور .

وإذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ،

وإذا رأى وجهه فى المرآة قال: اللهم أنت أحسنت خلقى فاحسن خلقى وحرم وجهى على النار ، وإذا قال له انسان (إنى أحبك) قال (أحبك الذى احببتنى له) وإذا أصبح قال (أصبحنا وأصبح الملك لله)

وإذا وقع له مالا يختاره قال « قدر الله وما شاء فعل »

وإذا استصعب عليه شىء قال « اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا »

وإذا لبس الثوب قال « اللهم انى أسألك من خيرة وفى خير ما هو له وأعوذ بك من شره ومن شر ما هوله

وإذا خرج من منزله قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

وإذا قدم اليه الطعام قال (اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار)

وإذا دخل فراشه قال (باسم الله ربي وضعت جنبي وبك أرفعه)

وهكذا لا تمر ظاهرة من ظواهر حياته ﷺ الا وهو متصل فيها بربه ، ذاكر له ، ملتمس منه جل وعلا الخير والتوفيق

(٣) قال ابو حميد الساعدى : « انا كنت احفظكم لصلاة رسول الله ، رايته إذا كبر جعل يديه حزاء منكبيه ، وإذا رفع أمكن يديه من ركبتيه ، ثم هصر ظهره فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقار الى مكانه ، فاذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما واستقبل باطراف أصابع رجليه القبلة ، فاذا جلس فى الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى ، وإذا جلس فى الركعة الأخيرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته »

تلك صلاته ، أما ضجاعه فهو ادم محشو ليفا، قيل أن عائشة

كانت تفرش للنبي عباءة فجاء ليلة وقد ربعتها فنام عليها ، فلما أصبح قال يا عائشة مالفراش الليلة ليس كما كان ، قالت يارسول الله قد ربعتها لك قال فاعيديه كما كان ، وفى رواية أنه منعنى من قيام الليل .

(٤) ومع هذا القدر الرفيع من العبادة والاتصال بالله فقد كان يغضب ممن يجنحون الى العزلة والانقطاع والرهبانيه ، وقد عرف غضبه ومعارضته لاحد أصحابه عند مالت نفسه للعزلة فى مغارة بجانبها ماء وخضرة ، وقال للذين مالوا الى الرهبانية والانصراف الى العبادة ، أما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ، وهكذا يجمع رسول الله بين التعبد لله فى أرقى مدارجه حتى تكون قرة عينه فى الصلاة و بين أداء حقوق الانسان فى الحياة من زواج وطعام ونوم كما اجتمع له أن يكون عابدا وسياسيا وقائدا .

ومن هذه الصور التى عرضناها من حياة « رسول الله » كعابد ترى أنه بلغ ذروة الايمان بالله والتوكل اليه والرجوع

اليه ، وكانت لحظات حياته كلها وتصرفاته وحركاته مرتبطة بربه والدعاء له .

ولكن هذه (العبودية لله) لم تكن عبودية الرهبان والعاكفين في المغاور والكهوف ، وانما كانت عبودية الرجل القوى المتجهز للقاء العدو ، المراقب لحركاته ، الباث عيونه في كل مكان لاستكناه أمره .

عبادة القوى لا عباده الضعيف ، يعرف ربه ويلجأ اليه ومعه القوة والعده ، ويدعوه حتى يسقط ردائه وكتائبه مصطفه للقتال فلا تنسيه العـــدة والسلاح حسن الالتجاء إلى ربه ولا يكتفى بالدعاء عن اعداد مايستطيع من قوة ومن رباط الخيل يرهب به عدو الله وعدوه . وليس هناك تعارض فى الجمع بين العــده والعبودية ، وانما يكون التعارض فى مقاييس العجزه الضعاف الذين يرون الا كتفاء بالدعاء عن الاستعداد ، أو يسوقون القوة المادية لغير ماينبغى ان تساق ، وبغير التماس لعون الله .

الاجتماعى

برز رسول الله فى « رجولته » فكان مثالا كاملا ، يقتدى ويحتذى ، وكانت رجولته عملية توجيهية .

وبلغ أرقى درجات التعبد ، ولكنها كانت عبادة القوى الواثق بربه المستعد بالعتاد وليست عبادة التواكل والعزله .

والجانب الاجتماعى فى رسول الله جانب فياض ضخم ، تظهر فيه معالم المشاركة الوجدانية والايثار والتواضع حية نابضة بالقوة فهو كزوج وكوالد وكقائد ترى فيه تلك البشاشة وذلك الانس واللين .

عندما ذبحو الشاه . قال أحدهم على سلخها وقال الاخر على طبخها فقال الرسول : وعلى جمع الحطب .

عمل مع الأجير والفاعل فى بناء مسجد المدينة ، والخندق . وتلك اعلى درجات (المشاركه) وهو الغنى برفيع مقامه بين أصحابه عن أن يدعه أصحابه يعمل معهم ولكنه كان يكره

أن يتفضل عليهم ولقد امتنع عن عن قبول رأى على بن أبى طالب ومرثد ابن ابى مرثد الغنوى فى أن ينزلا له عن حقهما فى المشى فى طريق بدر .

(٢) وعرف (بالتواضع) فكان يركب الحمار ويردف خلفه ويجلس حيث ينتهى به المجلس ويأكل مع خادمه ويركب الحمار بالاسواق ويعتقل الشاه فيحلبها ، ويشرب آخر الناس ويقول ساقى القوم اخرهم شربا ، وكان يزور خادمه انس فى بيته ويتلطف معه فى القول .

(٣) وعرف بالايثار فكان يوزع على أصحابه كل ماغلا من الغنيمة ويقنع بالقليل والخشن ، وبلغ فى ذلك نهاية ماعرف من الكرم فإذا سأل أعطى كل مايملك وإذا سأل وهو معدم وعد ولم يزد وأحيانا يأتيه الرجل وماعنده شيء فيقول له ابتع على فإذا جاءنا شيء قضيناه ويؤثر من يدخل عليه بوسادته ويجلس على الأرض وينعم بعباءته .

(٤) وبرز فى اداب المعاشرة واللياقة ولطالما قال: انى لست ارضى لكم ما اسخطه لنفسى ، ولم يفقه متفوق فى حسن مقابلته

للناس والاجتماع بهم ، فهو يلتفت بوجهه وجسمه ويصغى تمام الاصغاء ، ويتحدث اليه من شاء فلا يقطع حديثه وان طال . ولاينزع يده من يد محدثه حتى يكون صاحبه هو الذى ينزعها ولايصرف وجه عن وجهه حتى يكون هو الذى يصرف وجهه عنه ،وكان يتجمل لاخوانه إذا خرج إليهم وإذا غاب أحد من اخوانه ثلاثة أيام سأل عنه . ويخفف صلاته لمن ينتظره ولم ير مقدما ركبته بين يدى جليس له . ويقول (انس) خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لى اف قط ، وما قال لشىء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وتلك سجية الداعية والمصلح والنبي ، يتألف الناس بهذا الطبع الكريم السمح ، وبهذا الحلم الوفير ، وقد جمع رسول الله اليه القلوب بهذه المشاركة لأتباعه والسهر على مصالحهم ، واشعارهم بقربهم إلى نفسه ومكانهم عنده

وذلك جانب من عبقرية القيادة و نبوغها وتقديرها للاتباع وسياستهم باللين فى مواضعه والشدة فى أوقاتها حتى يستقيم الأمر ولا يفلت الزمام

وهو القائل فى شأن الصحبة والرفقة والتلطف فيهما

« ماصاحب مسلم صاحبا ساعة من نهار إلا سأل عن صحبته يوم القيامة »

(٥) وقد حرص الرسول على أن يكون اتصال الناس ببعضهم فى أمر المعاملات رفيقا لينافيه عدالة وسلامة، ولقد غضب على عمر عندما نهر الرجل الذى جاء يطالب الرسول بدين عليه، وقال له: أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج: أن تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن القضاء.

وتلك مزية الاجتماعى المطبوع والزعيم اللبق. يسبق حلمه غضبه ولا يزيده شدة الجهل من أحد عليه إلا حلما.

وهو إلى ذلك مثالا للنظافة والتزين والتجمل وقد أوصى بها وقد أثر عنه قوله (اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم) وفى هذه الحكمة مافيها من دقة الملاحظة، ومن رفعة الاسلام عن أوضاع بعض المتمخرقين وحمله الرقع والأدلاق .

وجمع الرسول إلى هذا المعنى دقة الاحساس الاجتماعى فى

صلة الرجل بزوجه فقال (إذا دخلت ليلا (من السفر) فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثه ، الكيس الكيس !) وتلك براعة الفاهم الحصيف لعلاقات الرجل والمرأة وأثر المفاجئات الغير منتظرة ، فى موقع المرأة من زوجها .

وهو لذلك كان حريصا ان يقرع بين نسائه إذا خرج فى سفر فايها خرج سهمها خرج بها ، حتى لايغضب احداهن .

وقد تحرى العدل بين زوجاته إلى ابعد حدوده ، وقال : « اللهم هذا قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك »

وقد بلغ فى هذه العاطفة الاجتماعية مع زوجاته إلى أن سابق عائشة فسبقته مرة وسبقها مرة أخرى.

ونفذت بصيرته الاجتماعية الفاهمة إلى أدق الأمور التى تقوم بين المرأة الرجل فاثر عنه انه قال للمرأةالتى تختن الجوارى: يا أم حبيبة إذا فعلتى فلا تنهكى فانه اسرى للوجة وأحظى عند الزوج . ولم يمنع ذلك من أن زوجاته كن يراجعنه حتى يظل طول يومه غضبانا .

(٦) ولم يعب الرسول طعاما قط : إذا اشتهاه أكله وإذا

كرهه تركه ، ونظم الاوضاع الاجتماعية فى قواعد بسيطة سهلة شاملة حين أوصى بأن لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه . وإذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث . ويسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير .

(٧) واصى فى أمر الخدم والعبيد وصايا كريمة ، هى انموذج المشاركة الاجتماعية فقال : إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلس معه فليناوله لقمة أو لقمتين . وقال هم أخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل مايغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم .

وبذلك بلغ الرسول مبلغا لم يرق اليه مصلح اجتماعى من أصحاب المذاهب فكيف باصحاب الدعوات التنفيذية التطبيقية

وهل يمكن أن يكون فى مذاهب الديمقراطية أو الشيوعية مثل هذه القوانين التى تقتل الفوارق ويقيم بين الناس أسباب الود والحب ، وتقوى أواصر الاخوة والاخلاق .

وهل أثر عن زعيم من هؤلاء المتزعمين أنه أكل مع خادمه أو زاره فى بيته أو قال ماقال محمد حين أراد انس أن يحمل له

سراويله من السوق : أن صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله وهل عرفت الدنيا يوما ، ذلك المثل الذى ضربه الرسول لابنته فاطمة حين جاءت تطلب خادما مما اشتكت من الرحى وهو فيما يروى على : فجاء النبي فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال على مكانكما : حتى وجدت برد قدميه فى صدرى فقال ألا أدلكما على خير مما سألتمانى إذا أخذتم مضاجعكما فسبحا الله ثلاثة وثلاثين وحمداه ثلاثا وثلاثين وكبراه اربعا وثلاثين فان ذلك خير مما سألتما ، وفى رواية وكيف أعطيكما وأترك أهل الصفة على ماهم عليه من الجوع .

تلك لعمرى سجايا بليغة فى القدرة النفسية على فهم أمور المجتمع والغوص فى أعماقه وحل مشاكله لم تتح لزعيم من الذين يفرضون انفسهم على دنيا السياسة والدول فى هذه الأيام .

وهى صورة صادقة لمن أراد الزعامة الاسلامية ، ومعالم صحيحة للانسان الكامل الصالح لأن يعيش فى المجتمع ، يشارك الناس ويعقد معهم أواصر الصداقة والمودة من غير أن يطغى ذلك على مبادئه ، بل ليكون منه عونا له على انفاذها إلى قلوب الناس وكسب الأعوان لها والأنصار .

عرضنا للجوانب الانسانية الثلاث « رجولة »، « عبادة »، « اجتماعية » فى رسول الله ﷺ، فلم نرها فى شخصيته الا مثالا للكمال والسمو ، وبقيت للرسول جوانب من أبرزها جانب (القائد) الحربى ،وهو الجانب العسكرى ، المتصل بالجهاد والحرب وتدبير المعارك وقذف الكتائب فى نحر العـــدو ، وهو تعبير (عرفى)بقصر أمره فى نظر بعض الناس على النواحى الحربية والعسكرية ، ولكنه فى الواقع أكثر شمولا ، إذ يطلق على الزعامة عامة ويشمل القيادة فى السلم والحرب ، ويعنى التوجيه والارشاد والإمامة للاتباع والانصار ، باعتبار هذه (الإمامه) رباط قوى متين بين القيادة والآتباع والجنود يتصل بكل دقائق الصلات والعلاقات بينهما مما سنفصله فى مكانه من كتاب (القيادة)

برزت القيادة الحربية بعد أن فرض القتال ونزل أمر الله به (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن على نصرهم لقدير)

فرض القتال بعد الاستعداد والتأهب ، وبعد الهجرة

وقد عرف عن رسول الله ﷺ من البراعة الحربية ما لا يزال مثلا عاليا فى العمل الحربى الذى يحتذى ويقلد، والذى يبهر الأبصار، ويملأ النفس اعجابا وتقديرا لهذه القدرة الانسانية العبقرية على تصريف أمور الحرب وهى من أخطر الأمور، وأجلها .

لم يكن رسول الله ﷺ محبا للقتال أو راغبا فيه، ولطالما حرص على أن يحصل على أعظم النتائج بأقل التضحيات، ولم يكن يلجأ إلى الحرب إلا عند ما تنفد من بين يديه وسائل الدفاع جميعها، ولطالما قال للمسلمين (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية) .

بلغ ذروة الشجاعة فكان إذا اشتد الوطيس وحمى البأس واحمرت الحدق اتقى الناس برسول الله فما يكون أحد أقرب الى العدو منه، وفر الناس من حوله فى (حنين) وهو ثابت لا يريم، يهزأ بالحوادث ويهتف (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب)

عرض عليه الانتصار بالمشركين وهو فى قلة وحاجة إلى رجل واحد فأبى وقال : لا انتصر بمشرك وتلك عبرة القائد

الواثق بصدق دعوته ونصر ربه فلا يستعجل الأمور ولا يتزيد بالناس وجاهة أو قوة : وإنما يعرف أمره ويحصره فى الخلصاء من الاتباع المبايعين على السمع والطاعة فيكون واثقا من أن مركزه بيده لا بيد قوى مشرك قد يحلو له أن ينصرف ويدعه فى أحرج الأوقات . ولطالما أعجب بعض اتباع الدعوات بأناس لهم أسماء لامعة أو مراكز ضخمة وسرهم أن يروهم يتقربون منهم ولكنهم ندموا من بعد عند ما خدعوا فى هذه المظاهر التى أقدمت لغرض فلم تخلص وجهها لله ولا للحق .

عرف القائد بالشورى لأصحابه ، ولكنه عرف بالحزم عند ما لبس المسلمين فى أحد ورجع المسلمون عن رأيهم فى الخروج إلى الاعتصام بالمدينة فقال لهم فى حزم : ما ينبغى لنبي ليس لامته أن يضعها حتى يقاتل

وضع لكل أمر قدره وميعاده فى اتزان وحكمة . طلب اليه أهل بيعة العقبه الكبرى أن يميلوا بأسيافهم غداة البيعة على أهل مكة فقال لهم لم نؤمر بقتال

عجم عيدان أتباعه ، ودرس خصائصهم ، وميزهم على قدر

عزائمهم وأرسل على رؤوس السرايا رجال فيهم مناعة خاصة : قال لعبد الله بن جحش عند ما أرسله على رأس السرية : إنى استعملتك على هؤلاء النفر فامض ، حتى إذا سرت ليلتين فانشر كتابى ولا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك وامض لأمرى فيمن اتبعك حتى تأتى بطن نخلة ترصد بها عير قريش : ثم قال لأصحابه إنى استعملته عليكم لأنه أصبركم على الجوع والعطش

وفى هذا التوصية معان . أوامر مختومة تفض فى أماكن معينة ثم امتحان للرجال ، لا اكراه فيه ، ثم تقدير لأمير فيه صفة خاصة من الصبر على الجوع والعطش ، ثم عمل منظم

عرف عنه الكتمان والتورية والحيطة كان يقصد جهة ويورى بأخرى . .

يتجهز لفتح مكة فيكتم الأمر عن أقرب اثنين اليه : عائشة وأبو بكر ، بث عيونه وأرصاده فى كل مكان فكان يعلم الأمور قبل أن تقرر وكان يرسل سراياه إلى من يدبرون له أمر قبل أن يعدوه .

بلغ من حرصه وخيفته من غدر قريش أن جهز مائة فارس فى عمرة القضاء ، جعل على رأسهم محمد بن سلمة ، وبعثهم طليعة له على ألا يتخطو حرم مكة .

عرف بالنظام والترتيب الحربى الدقيـــق . درب السرايا وأرسلها فلما اشتد ساعدها تقدم بها إلى معركة ضخمة . وأرسل للجيش قائد وخليفة له لو أصيب قائده وثالث يخلف الثانى وقال أمير الناس زيد بن حارثة فان قتل فجعفر بن أبى طالب ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، وإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجـلا يجعلوه عليهم

يستعرض الجيش ويعرض المقاتلة ويسوى الصف ويرد صغار المحاربين ، يخرج إلى الغزاة فيستخلف على المدينـــة ويستخلف على الصلاة.

إذا غزا قوما خرج فى رجاله فلا يظهر وجها ويغذ السير ، ولا يغير عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذانا أمسك ، وان لم يسمع أغار .

بلغت به البراعة الحربية والحاسة العسكرية مما لم تبلغ فى قائد من قبل يتفرد لقيادة الجيوش دون أن يكون له رسالة أو زعامة أو دعوة .

سأل عن المشركين يوم بدر فلم يعرف من سائله ما يريد ، فقال له : كم يذبحون ، قال يوما تسعا ويوما عشرا فاحرز أن القوم بين التسعمائة والألف . عند ما هزم المسلمون فى أحد ، وفرت قريش ، قال ياسعد اتبعهم فإن ركبوا الابل فهو الظعن وإن ركبوا الخيل فهى الغارة .

الثقة بنصر الله ، والثقة بالنفس والتعرض للموت والبذل والفداء ، كانت من نتائجه أنه انتصر دائما بالقليل من جنوده على الكثير من خصومه . وشعاره . لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنـــة تحت ظلال السيوف . يقاتل فلا يلتفت وراءه . يقول لو لا أن أشق على أمتى ما قعدت خلاف سرية تغزوا فى سبيل الله ولوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل .

لجأ إلى ربه فى بدر حتى سقط ردائه عن كتفيه ، ولما فتح مكة ورآها لا تقاوم ؛ استوقف كتائبه ووقف على راحلته وانحنى لله شاكرا

الحكمة فى أمر الجنود : لما كان بالكدية فى فتح مكة بين

الظهر والعصر : أخذ أناء ماء فى يده حتى رآه المسلمون ثم أفطر فى تلك الساعة وقال انكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم ، وبلغه أن قوما صاموا فقال : أولئك العصاة

تلك لمحات من عبقرية الرسول الحربية وهذا اجمال لها له تفصيل فى كتاب (أيام الله ومغازى الرسول) تدل على مدى تلك الخبرة والقوة والسداد فى أجل أمور الدعوة ، ومواقفها الفاصلة .

فقد أوتى رسول الله القدرة الكاملة على توجيه الأمور وتصريفها بما لم يؤت أحد ، وبما سجل التاريخ من صور لاتزال عدة المجاهد ، وسبيل النصر .

الخطيب والمحدث

من أبرز أسلحة الدعوات الخطابة والكتابة والحديث ، وقد ووري عن رسول الله جانب الكتابة لحكمة عليا في تنزيل القرآن « وما كنت تتلوا قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون »

وقد بلغ رسول الله في جانب الخطابة والحديث مبلغا أزرى عظماء العرب وبلغائهم . لقد كانت بلاغة رسول الله وقوة بيانه تختلف اختلافا بينا عن بلاغة من سبقوه ، إذ أنها لم تكن بلاغة الكتاب أو الخطباء أو الشعراء أو المتشرفين بالكلام في حلق الكعبة أو اسواق عكاظ وغير عكاظ ، وانما كان كلام الداعية . كلام المصلح صاحب الرسالة والهدف ، الذي لا يلق الكلام على عواهنه ، ولا يطلقه تفيهقا أو تطاولا أو استعلاء على الناس أو ابرازاً للقدرة البلاغية ، وانما كان كلام الحريص المدقق ، الذي يعرف ماذا يقول ، والذي يضع كلامه في موضعه فهو يوجه كلامه إلى أنصاره أو خصومه ولكل من هؤلاء

أسلوب لايتعدى الحق أو يخرج عنه ولكنه على كل حال كلام القيادة الدقيقة اليقظة .

وقد عرف فى رسول الله حسن توجيه القول بحيث لا يجرح به انسانا ويعممه فلا يخص به من يقصده به ، ويتبسط فى القول ليقرب إليه القلوب ، ويلين لأصحابه واتباعه فى مواضع اللين ويشتد على خصومه فى مواقف الشدة والحق التى لامناص فيها من الشدة والحزم .

البلاغة والحديث اللبق سلاح من أسلحة الدعوة فقد نشر الرسول دعوته بالاقناع وبلغ ذلك حداً بعيدا فى السجال بين الرسول وبين اليهود فى مكة ، وقضى رسول الله ثلاثا عشر عاما وسلاحه القول والكلام وأهل مكة بله جزيرة العرب كلها أهل لغة وبلاغة ولسان الكلام سلاحة ، والكلام المتميز بالسهولة والبساطة ، الالفاظ على قدود المعانى ، السهل الممتنع

البلاغة فى البساطة التى تقرب المعنى إلى الاذهان دون أن تتبذل به ومع ذلك فقد حرص الرسول على التذكير بسحر البيان وخطره فقال « ان الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ، الذى يتخلل للسانه تخلل الباقره بلسانها .

ويوصى رسول الله بالكلام وخطره وأثره فيقول من تعلم صرف الكلام ليستبي به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، ويقول وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم .

وحرص على استعمال القول فى مكانه حتى عرف عنه الصمت والقليل من الكلام ومجافاة اللغو والتكرار .

وإذا خطب احمرت عيناه ورفع صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش - بعد عن العى والعجز والقصور ، وبلغ الذروة فى وضوح الجواب ونصاعة الحجة ، وفصاحة اللسان ، وايجاز الكلام ، وجزالة الالفاظ وتقول عائشة « ما كان رسول الله يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل لو عده العاد لأحصاه .

يفتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم ، فصلا لافضول فيه ولا تقصير ، ولا عجب فى بلاغة الرسول ولا غرابة فقد سأله أبو بكر : لقد طفت بالعرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت افصح منك فمن أدبك : قال الرسول أدبنى ربى فأحسن تأديبى ولا عجب فقد نشأ رسول الله فى بنى سعد وولد فى قريش

ونزل القرآن على لسانه . فجمع بين جزالة البادية وبين القدرة على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها قحطانها ، وعدنانها ، وحجازها ، وتهامها ونجادها .

اين هذا من متزعمين اليوم تجهز لهم الخطب وتكتب ومع ذلك يتعثرون فى القائها ولا يعرفون معانيها .

وقد أوجز الجاحظ بلاغة الرسول وقدرته البيانية فى عبارات رائعة قال : « ألقى الله على كلامه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له من المهابة والحلاوة وهو مع استغنائه على إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ولازالت له قدم ولا بارت له حجة ولا قام له خصم ولا أفحمه خطيب . بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس اسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ثم لم يسمع الناس بكلام اعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا من كلامه ﷺ »

وتفصيل القول فى بيان الرسول مكانه فى كتاب « حديث الرسول وبيانه »

الزعيم السياسى

جمعت بين الزعامة والسياسة فى الحديث عن رسول الله ﷺ الزعيم والسياسى لعدة أمور يتعلق بعضها بسعة جوانب الشخصية المحمدية ، سعة تنتظم الكثير من الصفات والوظائف . ولأن الزعامة النبوية قد امتزجت بالسياسة كما امتزجت بالدين ، فلم يكن رسول الله منشىء دين فحسب ولكنه كان أيضا مؤسس دولة . وقد أتيح له أن يشتغل بالسياسة فى صورها العليا اشتغالا دل على لباقة وقدرة وحصافة لم تتأتى لسياسى من بعد

اشتغل بالسياسة الواضحة الصريحة ، فأرسل الوفود وعقد المعاهدات والعهود ، ونظم الدولة ، ووضع قواعد النظام الاجتماعى والقضائى وقام عليه . ولم يعرف لعهده ما يسمونه اليوم بالزعامة الدينية منفصلة عن الزعامة السياسية .

وإذا كان رسول الله فى شخصيته الفردية قد جمع صفات العابد والاجتماعى والمحدث فقد كان رسول الله بشخصيته العمليه زعيما وسياسيا ومحاربا وقد كانت شخصيته الفردية فى ذاتها

قواعد هامة فى شخصيته العملية كذلك ، فقد كانت بلاغة المحدث ولباقة الاجتماعى وايمان العابد من ادوات المهمة التى تجرد لها ﷺ واخذت منه حياته كلها ووقته جميعه من اقطارها فكانت شمائله الخاصة عدة صادقة فى سبيل انفاذ رسالته ووسيلة من وسائل النجاح فيها .

وقد عمد القرآن إلى توجيه هذه الناحية السياسية بالاضافة إلى الجوانب الاخرى فاثبت فى صميمه قواعد للتصرفات السياسية بلغت حداً كبيراً من الدقة والنفاذ .

وقد استعملت لفظ الزعامة هنا لكى أصل إلى تثبيت هذا المعنى السياسى بالذات وكنت اعتقد ان لفظ القيادة اشمل منه ، لقصور لفظ الزعامة فى العصر الحاضر على السياسة فحسب . وهو جانب واحد من جوانب التبريز فى شخصية رسول الله الجامعة الشاملة

* * *

برز معنى الزعامة فى شخصية رسول الله ﷺ بروزاً واضحا فقد اوتى من القوة والوجاهة واليقظة واللباقة والفراسة قدراً ليس بالقليل ولا بالمتوسط وزاده تميزاً عصمة الله له وتوفيقه اياه .

ولقد وصف لذلك بأنه من رآه بديهه هابه ، ومن خالطه

معرفة أحبه واستتبع ذلك ان اختاره العرب على أهليهم وهاجروا معه . وقد عرف باحكام التصرف ، وأعطى السكينة الباعثة على على الهيبة وامده الله بحسن القبول فوافقته القلوب وانقادت له النفوس وجمع إلى ذلك صدق الفراسة ورجاحة العقل وحصة وافرة من الدهاء فما استغفل فى مكيدة ولا استعجز فى أمر .

وبلغ أعلى مرتبة بلغها زعيم فشهد له خصومه بالصـــدق والأمانة ورقى إلى اوفى درجة من الاشعاع النفسى والتأثير الروحى فاجتمع له الناس المختلفون مراجا وخصالا وتربية وثقافة .

واستطاع أن يحول الطبائع بعد أن وصلت إلى درجة الاستقرار ، فأصبحت عجينة مرنة سهلة التحول والتشكل بعد أن طال بها عهد الجاهلية بوراثياته وتغرضاته .

أتصف بالسكينة فمن رآه بداهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه

يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن ينطوى لأحد منهم على سوء ، يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يواجه أحد بمكروه ، وإذا أراد أن يوجه نقدا عممه ولم يخص به .

منى بجفوة الأعراب فلم تقع منه بادرة وما روى له التاريخ

عثرة أو هفوة، وصل من الزعامة الكاملة الى أبعد أشواطها وأعلى مدارجها .

أوتى شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب واقدام داود وعظمة سليمان وبساطة يحيى ورحمة عيسى

عرف بالتمكن فى الصبر والثبات على الشدائد والقدرة على تجنب عواقب الأمور، والأعراض عن زخارف الدنيا فقد زهد فيها واكتفى بالبلاغ منها ، وقال اننا معاشر الانبياء لا نورث وما تركناه صدقة، تواضع للناس وهم أتباع وخفض جناحه للمؤمنين وبلغ غاية الحلم ونهاية الحكمة .

أحسن صحبة أعدائه ، وعنى بأمرهم ، فعفا عن أبو سفيان وجعل له فى فتح مكة مكانا يليق بزعامته ولم يسلبه إياها ، ولم يقبل مشورة عمر فى قتل ابن سلول وكفنه بقميصه وصلى عليه

قام أمره على الثقة بنصر الله وتأييده وعلى الحذر المتصل واليقظة الكاملة ، بلغ مبلغه من الظفر والتمكن وظل ينام على الحصير حتى تؤثر فى جنبه وليس فى خزانته إلا قبضة من شعير وبقى مكتفيا بالقليل من الطعام والخفيف من الثياب

وبلغ ذروة الثقة بدعوته والاصرار على حقها فرفض قولة عمه وهو فى أشد حالات الضعف،لم يقبل المساومة ودعوته فى حاجة إلى نصير واحد ، عرض عليه بنو شيبان عروضا وكانوا يزيدون على الألف : فقال لهم لقد قلتم فاحسنتم ورددتم فاجملتم الرد ولكن دين الله لا ينصره إلا من أحاطه من جميع نواحيه

وبلغ ذروة الثقة بربه فى نصر دعوته

وعرف أمور الناس فقال انزلوا الناس منازلهم ، خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام ، وفهم سرائر الناس وداراهم وأثر عنه قوله : إن الله أمرنى بمداراة الناس كما أمرنى بالفرائض : وقوله لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فإنى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر

وهب القدرة على فهم الرجال والاتباع فوضعهم فى المواضع التى يصلحون لها. جاءه أبو بصير مسلما فرده مع من جاء يأخذه فلما مضى قتله فى الطريق ورجع ال الرسول مخبرا بأمره وأمر صاحبه فلما انصرف قال الرسول معجبا به : ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال .. وتحققت فراسة الرسول وفهمه للرجال . أوتى القدرة على فهم بواطن الأمور . لما وصلت

٢٤٢ ٢<٢ ×
١٧٠ = ١٠ × ١٧

« القصواء » الحديبية بركت وظن المسلمون أنها جهدت ، ولكن الرسول بما أوتى من قدرة على اكتناه بواطن الأمور قال : إنما حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعونى قريش إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها

أوتى العفو : عفا عن أهل مكة بعد أن قدر عليهم ، وصفح عن اضطهاد ثلاثة عشر عاما ، وعفا عن أهل الطائف بعد أن ردوه ردا غير جميل وأعاد لها سباياهم وكانت ستة آلاف ، وتالف قلوب بعض المسلمين باضخم قدر من ألهبه فى أول غزاة بعد فتح مكة .

أوتى الشجاعة: فزع أهل المدينة فانطلق الناس يبحثون عن الصوت فلقيهم رسول الله راجعا وقد سبقهم وابتدر الخبر على فرس عرى والسيف فى عنقه فاستقبلهم ذاهبين وهو راجع فقال لهم : لن تراعوا . . لن تراعو . .

وظل فى مكة بعد أن أذن لأصحابه فى الهجرة الى المدينة حتى كان من آخرهم هجرة

تقرب القلوب اليه ، فربط بينه وبين رجاله الاربع الأول بالمصاهرة ، فتزوج بنتى الصديق والفاروق وزوج اثنتان من

من بناته الى عثمان وواحدة إلى علي .

أوتى الصبر ، فاحتمل مساءة قريش طويلا ، ودعا الى الله فلم يسلم له فى ثلاث سنوات إلا أربعين رجلا

لم يعتمد فى دعوته ولا فى زعامته على الخوارق والظواهر الغيبية فلما كسفت الشمس عند موت ابراهيم قال (إن الشمس والقمر ايتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد)

عرف بالكياسة واللباقة : فلما اجدبت أرض مكة تخير الأرض الخصبة وبحث عنها فى الحبشة والطائف ثم استقر فى المدينة لما عرف من صلاحيتها

ومن كياسته أنه لم يقبل عند دخوله المدينة دعوة القبائل والبيوت حتى لا تتميز إحداهما بضيافته والسبق فى دعوته اليها ، فكانت كل قبيلة تناديه ﷺ : يارسول الله هلم الى القوة والمنعة والثروة فيقول لهم خيرا فإذا قربوا دابته قال دعوها فإنها مأمورة

يقول رسول الله فى أشد ساعات الحرج والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه

يقول له عمر : قد أثر فى جنبك هذا الحصير وفارس والروم

قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا وقال إفى شك أنت يا ابن الخطاب : أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا .

عرف بالتواضع :دخل اليه الرجل يرتعش فرقاوخوفافقال له : هون عليك فإنى لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة

أوتى اشراق النفس والتفاؤل وسرعة البديهه ، مر مع أبى بكر وهما فى الطريق إلى فتح مكة بكلبة تهر فلما دنوا منها استلقت على ظهرها فإذا اثداؤها تشخب لبنا فذكرها أبو بكر فقال الرسول . ذهب كلبهم وأقبل درهم ، هم سائلوكم بأرحامهم وأنتم لاقون بعضهم ، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه

جمع القلوب بأرضائها بعد أن بهرها بقوته : كذلك فعل مع ابى سفيان إذ اشار على العباس أن يقف به إلى جوار الطريق حتى يرى ركب فتح مكة ، ثم لما أسلم تحت تأثير أرهاص هذه الحملة الجبارة ، جعل له الرسول مايريد من الفخر ، وما يتناسب مع مكانه فى زعامة قريش وجعل داره فى مكة كالمسجد من دخلى أيهما فهو آمن .

أوتى العفو : فعفا عن اهل مكة بعد أن قدر عليهم وأغضى عن اضطهادهم لاصحابه وله ثلاثة عشر عاما وعفا عن أهل الطائف بعد أن ردوه رداً غير جميل ووهبهم ستة آلاف من سباياهم، وتألف قلوب العتاه الشداد من المنافقين بعد أن أسلموا فابلغ هباتهم فى حنين مبلغ ضخما احرج صدور الانصار .

أوتى النفس اللماحة النفاذة إلى خبايا الأمور وفهم الاتباع :

أرسل عبدالله بن جحش وقال لأتباعه فى سرية ليس بخيركم ولكنه أصبركم على الجوع والعطش

عرف لنفسه قدرة على أصحابه وعرف اصحابه قدرة عليهم ويقول فى ذلك مامن مؤمن إلا وأنا أولى به فى الدنيا والاخرة اقرءوا ان شئتم : النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن قد مات وترك دينا فعلى . .

وعرف اصحابه قدره فأحبوه ، واسلموا أمرهم إليه مخلصين يقول أبا سفيان للرجل وهو يعذب : هل تحب أن تكون فى

أهلك وان يكون محمد مكانك ، قال والله لا أحب أن تشوك رسول الله شوكة وهو فى مكانه .

وتقول قريش لعثمان عندما احتجزته فى الحديبية طف أنت بالبيت ان اردت ، فيقول والله لا أطوف بالبيت قبل رسول الله وقد بلغت ثقة الاتباع بالقائد حدا لا يبارى حتى قال أبا سفيان : مارأيت أحداً يحب أحداً كما يحب اصحاب محمد محمداً

وقد احتمل اتباع رسول الله العــــذاب والالم فى صبر واطمئنان ثقة بالله واتباعا للقائد .

لم يتميز على أصحابه وشاركهم فى أمرهم كله فبنى فى المسجد وحفر فى الخندق ، وركب مرحلة فى بدر ، وشارك أصحابه فى جمع الحطب ، فإذا قيل له قد نزلنا لك عن نصيبنا فى ركوب الدابة : قال ما أنتما بأقوى منى وما أنا باقل حاجة إلى الاجر منكما وإذا قيل له نكفيك العمل ، قال قد علمت أنكم تكفونى ولكن أكره أن اتميز عليكم والله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يتميز عن أصحابه .

أوتى من دراسة الطبائع وفهم نفسيات الناس قدراً كبيراً وعامل كل صاحب من أصحابه على ضوء هذا والفهم الدقيق النافذ

دخل أبو بكر على رسول الله وهو مضجع وعليه ثوبه فقضى حاجته وخرج ، ودخل عمر فقضى حاجته وخرج، ثم جاء على فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عثمان فجلس له رسول الله ﷺ : فقالت له عائشة لم تصنع هذا باحد فقال أن عثمان رجل حي ، وانى خشيت ان آذن له على تلك الحال إلا يبلغ إلى فى حاجته

قال له أبو ذر : يارسول الله لا تستعملنى : قال فضرب بيده على قلبي ثم قال يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامه إلا من أخذها وبحقها وادى الذى عليه فيها

وهو القائل عن معاشر الأنبياء : أمرنا أن ننزل الناس منازلهم وان نخاطبهم على قدر عقولهم ؛ وهو القائل الناس كابل مائه لا تجد فيها راحلة .

ملىء قلبه بالرحمة والآن الله جانبه فاجتمعت إليه القلوب « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاور هم الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله »

يقول بديل بن هاشم مبعوث قريش فى الحديبية إلى الرسول وأصحابه عند عودته إلى قريش : ياقوم : قد وفدت على كسرى

وهرقل والنجاشى ، وانى والله مارأيت ملكا اطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد فى أصحابه،والله مايسددون إليه النظر،ومايرفعون عنده الصوت ، ومايكفيه الا أن يشير الى امرىء فيفعل ، وماتوضأ من وضوء إلا أزدحموا عليه أيهم يظفر منه بشىء،وقد حرزت القوم ، واعلموا انكم ان أردتم السيف بذلوه لكم ،وقد رأيت قوما لايبالون مايصنع بهم إذا منعوا صاحبهم .

أوتى الشخصية العملية ، واستطاع تنفيذ أمره دون أن يلتجأ إلى اظهار السلطة .

واوتى الجرأة ، فسفه أحلام قريش وطعن فى أربابهم وليس له من الحول والقوة شيئا وناهض رأى عمه وليس معه إلا قليل من الأنصار .

وعرض عليه الانتصار بالمشركين وهو فى قلة وحاجة إلى رجل واحد فأبى .

أوتى الذهن المرتب المحدد ، فكان يصنع لكل أمر حدودا يقول : فى الفارق بين الشجاعة وضبط النفس : ليس الشديد بالصرعة ، ولكن الشديد من يملك نفسه وقت الغضب .

ويقول عن الرجل المستقل الرأى ، والمعدوم الرأى :

لا يكون أحدكم إمعه ، يقول أنا مع الناس ، ان احسن الناس احسنت وان أساءوا اسأت ، ولكن وطنوا انفسكم إن أحسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا أن تجتنبوا اساءتهم

بلغ فى حسن معاملته للناس حدا كبيرا ، دون أن يضحى بشىء من مبادئه ومع التوجيه والاعداد ، يصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته .

يسوى بين الناس فى النظر والاستماع . جمع له الحلم والصبر إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى يفهم عنه ، وإذا أتى قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا.

قال بعض الوفود ، انت سيدنا وذا الطول علينا . قال : السيد الله قولوا قولكم ولا يستجرنكم الشيطان .

وقد بلغ فى تآلفه للأصحاب والاتباع : انه ماجلس اليه أحد إلا ظن أنه أقرب الناس إلى نفسه .

يقول إذا اذاع امرا ، لتبلغ الشاهد الغائب ، ويوصى بأن تحمل اليه امر من لا يستطيع رفع حاجته. فيقول: ابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغى حاجته فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها اياه ثبت الله قدمه يوم القيامة .

أوتى الكياسة السياسية، والبراعة الحربية
يقول لنعيم بن مسعود عند ماجاءه مسلما فى « الاحزاب » عبارة قصيرة فيها كل كياسة السياسى وبلاغة الزعيم « خذل عنا ما استطعت »

يقف قبيل بدر، فلا يبرحها حتى يستشير الناس ويقصد الأنصار وهو يعلم أنهم بايعوا فى حدود مدنيتهم العذراء، والموقف يخرج عن حدود بيعة « العقبة » وتلك كياسة سياسية، قبل أن تكون براعة حربية.

ومن كياسته السياسية أنه لما وزع الغنائم فى حنين على المهاجرين دون الأنصار، قال الأنصار، قد عرف النبى أهله وقومه فجمعهم فى الحظيرة وصفى نفوسهم حتى استدمعوا وثابوا وعرفوا انه انما تألف بها قلوب ووكل الأنصار إلى إيمانهم

من براعته السياسية أنه أبقى على (ابن أبى) فلم يقبل رأى عمر فى قتله حتى انكشف أمره للناس فكان قومه أول من أخذه بالعنف إذا أحدث أمراً حتى قال الرسول لعمر يوما : كيف ترى ياعمر : أما والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته قال عمر، قد والله علمت أن أمر رسول الله أعظم بركة من أمرى. أوتى سعة الأفق: صلى على عبد الله ابن أبى وأعطاه قميصه ولما اعترضه عمر قال: أخر عنى ياعمر : لو

أعلم انى لو استغفرت لهم أكثر من سبعين مرة غفر لهم لاستغفرت لهم .

حرص على مظهر القوة لأصحابه ودعوته ، عند ماجاء مكة فى عمرة القضاء اضطبع ﷺ بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال رحم الله أمرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ليكون ذلك رداً عمليا على قالة قريش بأن حمى يثرب قد انهكتهم

عامل الناس على مكانهم من دعوته . جاءه المخلفون من المنافقين فجعلوا يعتذرون اليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وإيمانهم ووكل سرائرهم الى الله ولم يقبل من المؤمنين عذرهم ، وأمر بمقاطعتهم وأن ينفصلوا عن زوجاتهم حتى ينزل فيهم أمر الله

عرف بالحكمة والتدرج فى التربية : أن أناسا من الأنصار سألوا رسول الله فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ماعنده . فقال . ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر

حرص على اقرار الحقائق ومحو الشبهات . عن صفية أنها جاءت الرسول تزوره فى اعتكافه فى المسجد فى العشر الأواخر فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبى يقلبها حتى اذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الانصار فسلما

على رسولفقال لها النبى على رسلكما ، إنما هى صفية بنت حيى فقالا سبحان الله يارسول الله وكبر عليهما ، فقال النبى : ان الشيطان يبلغ من الانسان مبلغ الدم ، وانى خشيت ان يقذف فى قلوبكما شيئا .

حرصه على العهد والوفاء به : يقول لابو جندل بن سهيل وقد جاءه بعد صلح الحديبية : اننا قد اعطينا القوم عهدا فاصبر حتى يجعل الله لك مخرجا ويقول لأصحابه فى خروجهم للغزو : إذا اعطيتم فلا تعطوا ذمة الله وذمة رسوله ولكن أعطوا ذمتكم وذمة أصحابكم وإذا حاصرت أهل حصن فارادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولاذمة نبيه . ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم أهون من ان تخفروا ذمة الله ورسوله ،

ومن حكمته وسياسته أن يرد كل حق إلى صاحبه فيتألف بذلك القلوب ويكون ذلك أكثر سداداو أحسن توجيهها للأمور . نادى عثمان بن طلحة يوم فتح مكة واعطاه مفتاح الكعبة وقال ياعثمان : اليوم يوم بر ووفاء .

ومن سياسته المعتمدة على الفهم النفسانى العميق : انه أطلق الهدى فى وجه سفير قريش اليه فى الحديبية فتأثر الرجل من منظر الهدى وقد تآكلت أوباره ورجع إلى قريش دون أن يلقى رسول الله

حكمته فى تلقى الانباء وتصديقها يصورها فى موقفه من زيد بن ارقم حين حدثه بحديث ابن أبى وقد أخذ الرسول يحاوره فى أدب جم ، يدفع فيه الاتهام ما استطاع عن (ابن أبى) فيقول له ياغلام لعلك غضبت عليه ، لعله أخطأ سمعك لعله شبه عليك وزيد يؤكد الخبر والسماع .

نفاذ بصيرته من حاضر الأمور إلى مستقبلها بالفراسة والتقدير : أراد عمر أن يمثل بسهيل بن عمرو فيخلع ثنيته فعارضه الرسول وقال لا أمثل به ولو كنت نبيا وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه ، وقد أسلم سهيل من بعد وقام فى أهل مكة ابان فتنة الردة موقفا كريما .

عرف بمداراة الناس بالحكمة والاتقاء ، عن عائشة قالت : أستأذن رجل على رسول الله فقال بئس أخ العشيرة ، ثم أذن له قالت عائشة فلم انشب ان سمعت ضحك النبى معه فلما خرج قلت يارسول الله قلت ما قلت ، ثم لم تنشب ان ضحكت معه فقال رسول الله ان شر الناس من اتقاه الناس لشره . وهى سياسة نفاذه قد لا ترضى بعض القاصرين فى فهم الأمور والعاجزين عن النفاذ إلى اعماقها والدربة على سياسة الناس .

العدل بين الناس ، حسب قدومهم اليه . جاءه أنصارى يسأله وجاءه رجل من ثقيف يسأله . فقال يا أخا ثقيف أن انصاريا

قد سبقك بالمسألة فاجلس كيما نبدأ بحاجة الأنصارى قبل حاجتك، يقضى بين الناس ويقول أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وتلك لعمرى من أعظم صفات القيادة التى تعتمد على الشمائل الإنسانية والتقدير الشخصى للامور على ظاهرها وبالنظر الى حيثياتها ومسبباتها ولذلك يقول ﷺ محذرا وموجها: أنكم تختصمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فانما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها

ويصف سياسة الاستعباد التى تفرق بين مجرم ومجرم ، وبين مذنب ومذنب فيقول . انما أهلك من كان قبلكم انه كان اذا أجرم العظيم تركوه، وإذا أجرم الضعيف أقاموا عليه الحد وفى رواية اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وهو الذى يضع أمور القضاء فى نصابها فلا يقبل فيها شفاعة ولا مساومة ولا دية فيقول لأسامة : ويحك يا أسامة أتشفع فى فى حد من حدود الله ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

وعند ما أرسل معاذا الى اليمن قال له يسر ولا تعسر ، بشر ولا تنفر واذا جلس اليك الخصمان فلا تقضى بينهما حتى تسمع من الآخر

هذه بعض لمحات من مظاهر « القيادة » وعوامل « الزعامة » فى شخصية الرسول . تدل على أن صفة الزعامة والقيادة بكمالها

وقوتها واتساع افقها وجـدت كاملة فى رسول الله ﷺ وهى (زعامة) انسانية أكثر منها زعامة وحى ، فيها طبائع الانسان الممتاز العبقرى ، الذى يقدر الأمور بالعقل ويصرفها بالعاطفة ويزنها جميعا دون تفريط أو افراط .

هذه صفات الزعامة والقيادة كما كان عليها رسول الله ﷺ وقد أجملناها هنا لنفصلها فى مكانها من هذه الدراسة وهى « سجايا » ثابتة فى الدعوة الاسلامية لا تتغير فاينما وجدتها فى داعية اسلامى فانما هو مهتد بهدى رسول الله ، سائر على نهجه ، عامل على سننه على تفاوت فى الظروف والهيئة والأحوال ، واينما افتقدتها فهو ادعاء وليست دعوة بل غش وخداع

تلك هى علامات الداعية الصادق السائر فى طريق محمد والناهل من فيض علمه وتوجيهه ، المقتفى لسنته ومنهاجه .

هى علامات أول سطر فيها هو البذل والعطاء والتضحية والفداء والأذى فى الله والخوف من الله ، وخشية الله وحده لا ترهبه صولة ولا ترده عن « دعوته » قوة بالغة ما بلغت من الظلم والاضطهاد والاعنات .

صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا